مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١بطرس ٥: ٦–١٤)

يا إخوةُ إتَّضعوا تحت يدِ الله القديرة ليرفَعَكم في الأوان* وألقوا عليه همَّكم كلَّهُ فإنَّهُ يعتني بكم* أُصحوا واسهروا فإنَّ إبليسَ خصمَكم كالأسدِ الزائرِ يجول ملتمساً من يبتلعه* فقاوموهُ راسخينَ في الإيمان عالمينَ أنَّ هذه الآلامَ بعينها تتمُّ على إخوتِكم الذينَ في العالم* وإلهُ كُلِّ نعمةٍ الذي دعاكم إلى مجدهِ الأبديّ في المسيح يسوعَ بعدَ تألُّمكم اليسيرِ يجعلكم كاملينَ راسخينَ مؤيَّدينَ مؤسَّسين* له المجدُ والعزَّةُ إلى دهرِ الدهور آمين* قد كتبتُ إليكم بالاختصارِ على يدِ سُلوانُسَ الأخِ الأمينِ (فيما أظنُّ) واعظاً وشاهداً أنَّ هذه هي نعمةُ اللهِ الحقيقية التي أنتم ثابتون فيها* تُسَلِّمُ عليكم الكنيسةُ المختارةُ معكم التي في بابلَ ومرقسُ ابني* سلِّموا بعضكم على بعض بقبلةِ المحبَّة. السلامُ لكم يا جميعَ الذينَ في المسيحِ يسوع.

العدد ٢٠٠٤/١٧

الأحد ٢٥ نيسان

أحد حاملات الطيب

تذكار يوسف الرامي ونيقوديموس

والقديس الرسول مرقس الإنجيلي

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الرابع

أحد حاملات الطيب

في الأحد الثاني بعد الفصح تُجدد الكنيسة إيماننا بالقيامة المقدسة بإقامة تذكار القديسين يوسف الرامي ونيقوديموس والنسوة حاملات الطيب. يذكر الإنجيل: «يوسف الذي من الرامة مشيرٌ تقيٌّ وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله» (مرقس ١٥: ٤٣)، هذا جاء «وسألَ بيلاطسَ أن يأخذَ جسدَ يسوعَ. فأَذِنَ بيلاطسُ فجاءَ وأخذَ جسدَ يسوع. وجاءَ أيضاً نيقوديموسُ الذي أتى أولاً إلى يسوعَ ليلاً» (يوحنا ١٩: ٣٨ و٣٩). كلاهما جهزا جسد يسوع للدفن ووضعاه في قبر جديد منحوت في الصخر. يوضح الإنجيلي يوحنا (٣: ١–١٣) ان نيقوديموس كان من رؤساء الكهنة اليهود الفريسيين وكان من المؤمنين برسالة الرب يسوع وكان مؤمناً أن يسوع أتى من الله وان الله معه. وحين كان يسوع يعلّم في اليوم الأخير من العيد «إنْ عَطِشَ أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب» (يوحنا ٧: ٣٧)، تشاور رؤساء الكهنة على يسوع ليمسكوه فجاء نيقوديموس ووقف في وسطهم ودافع عن يسوع قائلاً «ألعلَّ ناموسنا يدينُ إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعلَ. أجابوا وقالوا له: ألعلَّكَ أنتَ أيضاً من الجليل. فتِّش وانظر، إنَّه لم يَقُم نبيٌّ من الجليل» (يوحنا ٧: ٥١–٥٢).

أما النسوة حاملات الطيب فهن النسوة اللواتي تبعن يسوع في بشارته وكن يعملن في الخفاء ولم يذكرهن الإنجيليون كثيراً. إنهن النسوة اللواتي كن عند صليب يسوع عندما صرخ بصوت عظيم وأسلم الروح: «وكانت أيضاً نساءٌ ينظرن من بعيدٍ بينهنَّ مريمُ المجدليَّةُ (التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين) ومريم أمُّ يعقوب الصغير ويوسي وسالومَة اللواتي أيضاً تبعنهُ وخدمنهُ حين كان في الجليل. وأُخَرُ كثيراتٌ اللواتي صَعِدن معهُ إلى أورشليمَ» (مرقس ١٥: ٤٠–٤١). حاملات الطيب كن الشاهدات على قيامة الرب يسوع من بين الأموات عندما دخلن القبر الفارغ وبشّرهن الملاك بالقيامة. لقد أتينَ ليطيّبنَ جسد الرب لكنهن تفاجأنَ وقد أخذتهن الرعدة والدهش، وكنّ أول من حمل البشارة للرسل وللآخرين: «الذي كن يلتمسنه كمائت وهن باكيات (ليطيّبنه) قد سجدنَ له إلهاً حياً» (من قانون الفصح). إن حواء، المرأة الأولى، التي قيل لها بعد ابتعادها عن محبة

الإنـجيل

(مرقس ١٥: ٤٣-٤٧؛
١٦: ١-٨)

في ذلك الـزمـان جـاءَ يـوسفُ الـذي مـنَ الـرامـةِ مشيرٌ تقيٌّ وكان هو أيضاً منتظراً ملكوتَ الله. فاجترأ ودخلَ على بيلاطسَ وطلبَ جسدَ يسوعَ* فـاسـتـغـربَ بيلاطسُ أنَّه قد ماتَ هكذا سريعاً. واستدعى قائدَ المئةِ وسـألـه هـل لـهُ زمـانٌ قد ماتَ* ولمَّا عَرف مِنَ القائدِ وهبَ الجسـدَ لـيـوسـفَ* فاشترى كتَّاناً وأنزلهُ ولفَّهُ في الكتَّانِ ووضعهُ في قبرٍ كـان منـحـوتـاً في صخـرةٍ ودحرجَ حـجـراً عـلـى بـابِ الـقـبرِ* وكـانـت مـريـمُ المجدليـةُ ومريمُ أمُّ يوسَّي تـنـظـرانِ أيـن وُضـع* ولمَّا انقضى السبتُ اشترت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يعقوبَ وسالـومـةُ حَنوطاً ليأتينَ ويدهـنَّـهُ* وبكّرنَ جداً في أول الأسـبـوع وأتينَ الـقـبرَ وقد طلـعتِ الشمسُ* وكنَّ يـقـلـنَ فـيـمـا بـيـنـهـنَّ مـن يدحرجُ لنا الحجرَ عن بابِ القبر* فتطلَّعنَ فرأينَ الحجرَ قد دُحرجَ لأنَّهُ كان عظيماً جداً* فلمَّا دخلنَ القبرَ رأينَ شابًّا جـالسـاً عـن الـيـمـينِ لابسـاً حـلَّـةً بـيـضـاءَ فـانـذهـلـنَ* فـقـال لـهـنَّ لا تـنـذهـلـنَ. أتـطـلـبنَ يسوعَ الناصريَّ المصلوبَ. قد قام لـيـس هـو هـهـنـا. هـوذا الموضعُ الذي وضعوهُ فيه*

الله انها بالحزن والأوجاع تلد، كانت أول من تـلـقـى بشارة فرح القيامة والخلاص وإعادة الشركة واللُحمة مع الله.

القسم الثاني من النص الإنجيلي الذي يُقرأ في هذا الأحد المبارك (مرقس ١٦: ١-٨) هو نفسه النص الذي نقرأه في خدمة الهجمة صباح أحد الفصح المقدس لأن حاملات الطيب كنَّ أول من أعلن لهن الملاك بشرى القيامة، وهنَّ نقلنها للرسل، والرسل نقلوها للعالم أجمع. لذا فإن حـامـلات الـطـيب يـجسدن رسالة الكنيسة وكل الجماعة المسيحية. مهمة الكنيسة كانت وستبقى إعلان قيامة الرب للجميع لأن القيامة هي أساس إيماننا المسيحي: «وإن لم يكن المسيحُ قد قام فباطلٌ إيمانكم» (١ كورنثوس ١٥: ١٧). قد لا نستطيع أن نـحـيـا خـبـرة حـامـلات الـطـيب الحسيَّة بالدخول إلى القبر الفارغ في القدس، لكننا بالتأكيد نستطيع أن نـحـيـا خـبـرتـهـنّ روحـيـاً ونـلـتـقـي بـالمسيح الـقـائـم بالوسائل التي وضعها لنا من أجل خيرنا. فنحن نـلـتـقـي بـه مـن خلال الأسرار، بل ونـتـحـد بـه في المناولة المقدسة. نلتقي به من خلال إخوتنا وأخواتنا البشر الذين نعيش معهم.

ما نتعلمه من حاملات الطيب هو السعي باكراً جداً وراء يسوع. علينا كل يوم صباحاً باكراً جداً، مع طلوع الشمس، أن نوجه فكرنا نحو الرب يسوع الشمس الحقيقية لنطلب منه أن يشرق نوره في عقولنا وقلوبنا فـيـنـير نـهـارنـا وحـيـاتـنـا بقيامته. «المجد لك يا مظهر النور» (صلاة السَحَرْ)، «سهِّل خطواتي يا رب فاعمل بـوصـايـاك» (من صلاة الساعة الأولى).

اليوم نُعيِّد للمحبة والأمانة للرب. المهم أن نبقى أمناء للرب إلى المنتهى. وحدهن حاملات الطيب، مع يوسف ونيقوديموس، لم يتركنَ يسوع على الصليب وحده حين تركه الجميع بمن فيهم الرسل. وإذا كنا أمناء لا بد أن نعاين وجه الرب في اليوم الأخير ويدخلنا إلى ملكوته. ما نتعلمه من حاملات الطيب هو الإقدام دون خوف لعيش حقيقة القيامة مـتـجـاوزيـن الـنـامـوس الـعـقـلـي، وحاملين مكانه الطيب الزكي، طيب الإيمان والثقة بالله وناقلين إياه إلى كل المسكونة.

فرح حاملات الطيب بالقائم من بين الأموات لا يوصف. فمن عاين في داخله هذا الفرح، هذا النور، لا يمكن أن يصمت بل يصرخ بأعلى صوته كارزاً ببشارة الملكوت الذي حققه الرب في داخلنا. لنصمد في محبة المسيح، لأن محبّي لله وحدهم يعاينون نور القيامة.

في البدء كان الكلمة

قد يستغرب المرء ان الكنيسة الشرقية لا تقرأ في قداس عيد الفصح المقدس «إنجيلاً فصحياً»، أي إحدى الروايات الواردة في الأناجيل عن قيامة السيد، بل الآيات الأولى من إنجيل يوحنا (١:١-١٨). لقد رتّب واضعو الليتورجيا البيزنطية أن يُقرأ إنجيل يوحنا بين الفصح والعنصرة. هـذا، طـبـعـاً، يـضـرب جـذوره فـي الـتـاريـخ. فـالـصـوم لـم يـكـن، في العصور الأولى للمسيحية، مجرد تهيئة للفصح بل فترة تحضيرية لطالبي المعمودية الذين يدعون «موعوظين» في المصطلح الكنسيّ. هـؤلاء كـانـوا يُـعَـدّون لاقـتـبـال المعمودية ليلة الفصح، عبر تعلّمهم مبادئ الإيمان المسيحيّ طوال فترة الصوم الأربعينيّ. وكانت الكنيسة تستند في تعليمها هذا إلى الأناجيل الثلاثة الأولى، متى ومرقس ولوقا، مستثنية إنجيل يوحنا لأنها كانت

فاذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ ولبطرسَ إنَّهُ يسبقكم إلى الجليل. هناك ترَونه كما قال لكم* فخرجنَ سريعاً وفررْنَ من القبر وقد أخذَتهُنَّ الرِّعدَةُ والدهَشُ. ولم يقلنَ لأحدٍ شيئاً لأنَّهنَّ كنَّ خائفات.

تأمل

قل لي يا يوسف، أدفنتَ يسوع موجّهاً إياه إلى الشرق كسائر الأموات، وهو مَشْرِق المشارق؟ هل أغلقت بأصابعك عينيه كما يجري للأموات، وهو الذي فتح عيني الأعمى بإصبعه القدّوس؟ هل أغلقتَ فم ذلك الذي فتح فم الأبكم الأخرس؟ هل ربطت يَدَيْ ذلك الذي حلّ اليدين المخلّعتين؟ هل قيّدت قدمَيْ يسوع الذي حرّك القدمين اليابستين؟ ربما حملت على سرير الأموات هذا الذي أمر المخلّعَ بأن يحمل سريره. ربما سكبت طيباً على الذي أخلى ذاته كطيب سماوي ليجدّد العالم؟ هل تجرّأت على مسح الجنب المسيل الدمّ، جنب يسوع الإلهي الذي شفى النازفة الدم الحزينة؟ هل غسلتَ بالماء جسد الإله الذي غسل خطايا الكلّ ووهبَ التطهير؟ أيّ سراج أشعلتَ أمام النور الحقيقي المنير كلّ إنسان؟ هل رتّلت تراتيل جنائزيّة لذلك الذي ترنّم له القوّات الملائكية

تعتبره الأكثر عمقاً وتعبيراً عن ألوهة يسوع، بحيث أن الموعوظين لا يصبحون مؤهلين لسماعه إلا بعد معموديتهم.

ولكن، ثمة أيضاً سبب لاهوتي يفسّر قراءة إنجيل يوحنا في الزمن الفصحي، وهو يتصل بالسبب التاريخي. فهناك علاقة متينة بين المعمودية والفصح. المعمودية، في مفهومها الأساس، موت مع المسيح على رجاء القيامة. هذا هو السبب الذي ساق كنيسة القرون الأولى إلى اختيار ليلة الفصح لإقامة المعمودية. فالمعمّد ـ أو عرّابه ـ يعلن في أثناء معموديته انضمامه إلى شعب المسيح، ويعترف بأن يسوع «ملك وإله» عليه.

ألوهة السيد، كما ورد آنفاً، واحدة من الأفكار المركزية في إنجيل يوحنا: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو١:١). وقد ظهرت هذه الألوهة بأجلى صورة لحظة القيامة، عندما برهن السيد أنه منتصر على الموت بانبجاسه حياً من القبر. هذا يوضح السبب اللاهوتي لاستهلال قراءة إنجيل يوحنا يوم الفصح. فالمدخل إلى ألوهة السيد المعبّر عنها في إنجيل يوحنا لا يمكن أن يكون الاستدلال العقليّ المحض، بل القيامة، حيث بيّن يسوع أنه ليس مجرد إنسان يتألم ويموت، بل إله قادر على قهر الموت.

من اللافت أيضاً أن يسوع في الآية الأولى من إنجيل يوحنا يُدعى «كلمة». يختلف الشرّاح المعاصرون في مصدر هذا اللقب. أما الأقدمون فاحتسبوا أن يسوع يُسمى كلمة لكونه يُفصح عن الله أبيه، كما أن الكلمة تنقل أفكار قائلها: «الله لم يره أحد قطّ. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر» (يو ١: ١٨). فإذا كان البشر لا يستطيعون رؤية الله أو لمسه، فإن كلمته «يصوّره»، أي يعكسه في أقواله وأفعاله، في تعليمه وسلوكه. طبعاً ليس مستبعداً أن يكون كاتب الإنجيل قد قصد أيضاً تذكير قرّائه بالآيات الأولى من سفر التكوين: «في البدء خلق الله السموات والأرض... وقال الله ليكن نور» (تك ١: ١–٣).

في مستهل كتاب التكوين يخلق الله الكون بكلمته. فإذا نأت الخليقة عن فاطرها، لا مناص من ردّها إليه عبر عملية خلق جديد. مصدر هذه الخليقة الجديدة هو كلمة الله.

ولكن بأي معنى أمسى يسوع خليقة جديدة؟ الجواب يرد في الآية الرابعة عشرة: «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا». الآية الأولى من القراءة الإنجيلية أكدت ان الكلمة إله حقيقيّ، أما الآية ١٤ فتشير إلى أنه إنسان حقيقيّ. كلمة «جسد» هنا لا تعني الجزء المنظور من الإنسان دون جزئه غير المنظور. هذا متأصّل في الفكر الساميّ القديم الذي، بخلاف الفكر اليوناني، لم يجنح إلى الفصل بين أبعاد الإنسان وطاقاته. وهو كثيراً ما عبّر عن الكيان الإنسانيّ كله بلفظة «جسد» لكون الجسد مظهر الكيان، أي مكان ظهوره، ومستودعه.

ينتج من هذا ان الخليقة الجديدة يفتتحها كلمة الله بتجسده، أي بصيرورته إنساناً. فحياة الله وقوّته الكفيلتان بإعادة الخليقة الأولى إلى بهائها لا تسريان في ملئهما ما لم يكن ثمة نموذج اتحاد كامل بين الله والبشر، أي كلمة الله نفسه. ويرى المسيحيون أن جريان هذه الحياة الجديدة فيهم إنما يتم في المعمودية وسر الشكر، إذ يمسي كل مشترك فيهما جزءاً من هذه الخليقة الجديدة. لذا، فإن ذروة القداس الفصحيّ، حيث كان الله يمن على «الموعوظين» بالمعمودية، إنما هو تناول جسد الرب ودمه.

بلا فتور؟ هل سكبت دموعاً على يسوع الذي دمّع وأقام لعازر صديقه المائت؟ هل رثيت الذي منح الفرح ووضع حدًّا لحزن حواء؟

مغبوطتان على كلّ حالٍ يداك يا يوسف لأنهما لامستا اليدين الإلهيتين، وقدمي يسوع النازفتين دماً. مغبوطتان يداك اللتان مسّتا جنب الإله قبل يدي توما الأمين في فضوله المستحق المديح. مغبوط فمك الذي شبع ممّن لا يُشبع منه واتحد بفم يسوع فامتلأ منه بالروح القدس. مغبوطتان عيناك اللتان قابلتا عيني المسيح وأخذتا منهما النور الحقيقي. مغبوط وجهك الذي واجه وجه يسوع. مغبوطان كتفاك اللذان حملا الذي حمل الجميع. مغبوط رأسك الذي اقترب من يسوع رأس الجميع.

طوبى لكما يا يوسف ونيقوديمس لأنكما أصبحتما شيروبيماً مثل الشيروبيم عندما حملتما الإله ورفعتماه، وأصبحتما سيرافيماً قبل السيرافيم ذوات الستة الأجنحة عندما خدمتما الإله. لقد أكرمتما المسيح وسترتماه لا بالأجنحة بل بالسباني. هذا الذي ترتعد منه الشيروبيم يحمله يوسف ونيقوديمس على أكتافهما وينقلانه مع كل الأجناد السماوية.

القديس أبيفانيوس القبرصي

القيامة، إذاً، في منظار الآيات الأولى من إنجيل يوحنا سبب لاستذكار أعمال الله العظيمة التي يمسي هذا الكون بفضلها مدين لطاقة الله التجديدية، لا مسرحاً للعبث.

المسيح قام

إفرحي يا أورشليم، وأنتم يا جميع من يحبّون يسوع، اجتمعوا، لأنه قام. إبتهجوا أنتم يا من كانوا قبلاً محزونين (أشعياء ٦٦:١) لسماعكم بجرأة اليهود ومعاصيهم. لأن الذي أهانوه آنئذ، قام من الأموات. وكما أن الذين استمعوا إلى العظة عن الصليب حزنوا، فليفرح الحاضرون الآن بنبأ القيامة. ليتحوّل الحزن إلى فرح، والنوح إلى سرور (مزمور ٢٩:١٢)، وليمتلئ فمنا فرحاً وابتهاجاً (مزمور ٧٠:٨). لأني أعرف الحزن الذي شعر به أصدقاء المسيح في تلك الأيام الماضية. في الوقت الذي اقتصرت فيه عظاتنا على الموت والدفن، لم نكن قد أعلنّا نبأ القيامة. لذلك كانت أذهانكم معلّقة بما ترغب في سماعه. لقد قام إذاً هذا الذي مات، وكان حُرًّا بين الأموات، وحرِّر المائتين. هذا الذي في آلامه كُلل بالشوك خزياً له، قام متوّجاً بإكليل الغلبة على الموت.

بما أن اليهود الصمّ لا يطيعون الكتب الإلهية ويكذّبون قيامة يسوع، ناسين كل ما هو مكتوب، يحسن بنا أن نواجههم بهذا: لماذا تعترفون بأن أليشاع (٤ ملوك ٤: ٢٠–٣٧) وإيليا (٣ ملوك ١٧: ١٧–٢٤) أقاما موتى، وتعارضون قيامة مخلصنا؟ صحيح أنه ليس لدينا اليوم حيّ ولا واحد من شهود ذلك العهد، ولكن أظهروا لنا شهودكم من ذلك العهد. إن كان ما تقبلونه مكتوباً، فإن ما نقبله مكتوب أيضاً. فلماذا تقبلون شهادة دون الأخرى؟ لقد كان أولئك الذين كتبوا هذه الأمور عبرانيين، وجميع الرسل كانوا عبرانيين، فلماذا لا تصدّقون عبرانيين؟ متى كتب الإنجيل بالعبرية، وبولس المبشّر كان عبرانياً ابن عبراني (فيليبي ٣: ٥)، والرسل الإثنا عشر كانوا عبرانيين، وأساقفة أورشليم الخمسة عشر الذين تعاقبوا كانوا عبرانيين. فلماذا إذاً تقبلون كتبكم وترفضون كتبنا التي كتبها عبرانيون مثلكم؟

قد يقول قائل: يستحيل إقامة الموتى. ومع ذلك أقام أليشاع ميتاً مرّتين: مرّة وهو حيّ بعد، وأخرى وهو ميت (٤ ملوك ٤: ٢٠–٣٧). نحن نؤمن أن ميتاً قام عندما ألقي على جثة أليشاع (٤ملوك١٣:٢١)، ولكن هل المسيح لم يقم من بين الأموات؟ في الحالة الأولى لمس الميت أليشاع وقام، ولكن الذي أقامه بقي ميتاً كما كان قبلاً. أما في حالتنا، فقام الميت وقام معه أموات كثيرون دون أن يلمسوه لأن «كثيرين من القديسين الذين كانت أجسادهم ترقد، قاموا وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٥٢–٥٣). أقام أليشاع ميتاً ولكنه لم يسيطر على الأرض، أقام إيليا ميتاً ولكن الشياطين لا تخرج باسمه. إني لا أقول هذا للإساءة إلى الأنبياء، بل للإشادة بذكر سيدهم. اننا لا نحطّ من قيمة هذه الأحداث للإشادة بأحداثنا، لأن هذه الأحداث أيضاً هي أحداثنا، وعلى أساسها ندعم أحداثنا.

القديس كيرلس الأورشليمي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb